ولما كانت هيئته الأميرية قد تركت الجنود الشبّان بلا حَوْل ولا قوّة فإنهم لم يجسروا على التدخّل. وما لبث أن حضر لنجدتهم أحد وجهاء البلاط. وكان هو نفسه يشعر بالضيق أمام هذا النُّصُب الحيّ من أنصاب «الإمبراطورية». وتمتم قائلاً إنه من غير اللائق برجل له مثل مقام «زراف» أن يأتي للعزف في مكان بمثل هذه الخِسّة.

ودهش الموسيقيّ العجوز:

- أولستُ في حَرَم القصر؟

- بلا شك. ولكنْ هذا فِناء التعذيب!

- إن هذا المكان هو اليوم في نظري أكثر أمكنة القصر احتراماً وأضْوَعُها عِطراً.

- إن من عزف للملوك لا يقدر على العزف لمحكوم بالتعذيب!.

وقبل أن يردّ «زراف» سمع صوت «ماني» اللاهث. ولم يكن يتدخّل في النقاش. على الإطلاق. بل لم يكن ليُشعِر بأنه أصغى إليه. ولقد بدا وكأنّه يتابع مع الموسيقيّ حديثاً بعيد العهد.

- اعلم يا زراف» أنّه في فجر الكون كانت جميع المخلوقات تسبح في نغم علويّ، وقد أنسانا إيّاه سديم الخَلْق. غير أن عوداً مدوزناً مع روح الفنّان قادر على بعث تلك النغمات الأصليّة...

وصاح «زراف»:

- ما أعذب وقع كلمات الحكيم في مسامعي!.

وإذ نسي التهديدات والكلامَ المنمّق فقد استأنف العزف نشِطاً ومُلْهَماً حتى المساء.

ويقال إنّ «بهرام» كان في القنص ذلك اليوم، وأنّ أحداً لم يجرؤ في غيابه أن يأخذ على عاتقه مهمّة الإساءة إلى موسيقيّ الملوك الجليل.